الباب الأول

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الدعوة إلى الله.

المطلب الثاني: شرف الدعوة إلى الله تعالى وفضائلها.

المطلب الثالث: غايات الدعوة ومقاصدها.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول:

تعريف الدعوة إلى الله تعالى

الدعوة لغة: هي النداء والطلب.

وشرعًا: هي دعاء المكلفين من الجن والإنس إلى عبادة الله تعالى وتقواه، قال تعالى:] ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [العنكبوت:١٦-١٧].

فهي دعوة إلى تحقيق أمرين:

أحدهما: عبادة الله تعالى وحده، بدعائه وحده، والثناء عليه بما هو أهله، وحبه، وتعظيمه، والذل والخضوع والاستسلام له، والانقياد له بالطاعة له بما شرع؛ امتثالًا لأمره واجتنابًا لنهيه، واليقين بأحقية وعده ووعيده في الدنيا والآخرة.

الثاني: تقواه سبحانه وتعالى بترك الشرك به، واجتناب البدع وكبائر الذنوب والأهواء المخالفة لشرعه والتوبة والاستغفار مما اقترف منها، وهجر هذه الأمور وبغضها وبغض أهلها والبراء منهم ومن عملهم؛ تقربًا إليه سبحانه، رغبة إليه ورهبة منه، وطمعًا في ثوابه وحذرًا من عقابه.

قال تعالى:] l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

µ ¶ ¸ نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن
كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ! " # $ % & ' ( ) *
+ , . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; <
= > @ A B C D E F G Z [البقرة:٢١-٢٥].

وقال تعالى: [g h i j k l Z [النساء:٣٦]، وقال تعالى:
[! " # % & ' (* + , - . / 0 1 2
3 Z [الأنعام:١٠٢]، وقال تعالى: [D E F G H I J
K L M N Z [النحل:٣٦].

وقال تعالى: [\ ] ^ _ ` b c Z [الحج:٣٤]،
وقال تعالى: [U V W Y Z Z [فصلت:٦].

وقال تعالى: [! " # $ % & ' ( ) *
+ , - . / 0 1 2 3 4 5
6 7 8 9 : ; < = > ?
A B C D E F G H I J K L M
N O Q R S T U V W Z [يونس:٧-١٠].

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني:

شرف الدعوة إلى الله تعالى وفضائلها

الدعوة إلى الله تعالى وظيفة شريفة وعمل صالح جليل، لا يُوفَّق للقيام به والتصدي له ـ عن إخلاص لله تعالى وأهليَّة وحسن أداء ـ إلا كُمَّلُ الرجال والنساء وخواص الخلق.

ومن أدلة شرفها وفضلها وعلو مقام أهلها عند الله تعالى في الدنيا والآخرة ما يلي:

١ - أن الله تعالى أضافها إليه، فجعلها من أفعاله وإحسانه إلى خلقه، كما قال تعالى:] l k j i h g f e d c Z n m [البقرة:٢٢١]، وقال تعالى:] يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ ´ µ Z [إبراهيم:١٠].

ومن ذلك قوله سبحانه:] l m n o Z [البقرة:٢١]، وقوله:] h i Z [الزمر:١٦]، وقوله:] فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ Z [البقرة:١٥٢]، وقوله تعالى:] g h i j k l Z [النساء:٣٦].

٢ - أنه تبارك وتعالى قد انتدب لها أشرف خلقه من رسله وأنبيائه، ومن ورثتهم في العلم والعمل من العلماء الربانيين، والأخيار العاملين

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وصالحي المؤمنين، كما قال تعالى: [! " # $ % & ' ( ) * + , . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [الأنبياء:٧٣]، وقال في أتباعهم: [J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [السجدة:٢٤].

٣- أنها دعوة لإيصال أعظم حق: وهو التوحيد بأنواعه لمستحقه وهو الله تعالى، قال تعالى: [g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ Z [النساء:٣٦]، وقال تعالى: [4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [آل عمران:١٨]، وقال تعالى: [l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ Z [البقرة:].

والنهي عن الشرك به، أي: صرف حقه أو شيء منه لأحد من خلقه كائنًا من كان، ولذا قال تبارك وتعالى: [فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ Z [البقرة:٢١،٢٢].

ولقد بعث جميع الرسل والنبيين إلى قومهم داعين إلى هذا الأمر العظيم قائلين: [< = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [الأعراف:٥٩]، وقال سبحانه: [g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ Z [النساء:٣٦].

ذلك لأن الشرك ظلم عظيم؛ لأن منع الشيء عن مستحقه وإعطاءه لغير مستحقه ظلم، فكيف إذا كان ذلك الشيء أعظم الحقوق، وهو حق الخالق سبحانه يعطى للمخلوق، ولذا قال سبحانه [A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [لقمان:١٣].

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فالدعوة إلى الله تعالى بيان لحق الله تعالى على خلقه، ودعوة للجن والإنس أن يؤدوه إلى مستحقه؛ وأن يتركوا الشرك به وفروعه من كبائر الذنوب.

٤ - أنها دعوة للثقلين إلى ما أنزل الله تعالى لعباده رحمةً بهم: من الهدى ودين الحق الذي يتحقق باتباعه والاستقامة عليه الأمن والاهتداء، وتطيب الحياة، وتحفظ النعماء والأمن من معيشة الضنك والشقاء والرَّدى، فهي دعوة للفلاح والإسعاد، ونذارة من الشر والإفساد.

٥ - أنها دعوةٌ لتجنب الجحيم وما فيها من العذاب الأليم، وهداية إلى الصراط المستقيم، الموصل لمن سلكه إلى جنة النعيم وما فيها من أصناف التكريم، والنظر إلى وجه الله العظيم، والفوز بالرضوان وهو أكبر النعيم.

فلا أشرف من هذه الوظيفة، ولا أحد من الخلق أكرم عند الله تعالى ولا أرحم ولا أنفع للناس وأعظم إحسانًا إليهم ممن قام بالدعوة إلى إخلاص الدين لله تعالى على بصيرةٍ مخلصًا لله تعالى، محسنًا صابرًا محتسبًا، يرجو رحمة ربه ويخشى عذابه.

ومما يبين فضيلة الدعاة إلى الله تعالى، وعظم فضل الله عليهم بتوفيقهم للدعوة إليه؛ أمور:

١ - قول الحق تبارك وتعالى:] . / 0 1 2 Z [آل عمران:١١٠]، فمما أُثر عن السلف في تفسيرها أن المراد: كنتم خير الناس للناس وأنفعهم للناس؛ تجرُّونهم بالسلاسل فتدخلونهم الجنة، أي: بالدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيل الله.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢- وقال تعالى مثنيًا على الدعاة إليه شاهدًا لهم بكرم العمل وعِظم الأجر لديه: [L M N O P Q R S T U V W
X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d
e f g h i j k l m n o p q r
s t u v w Z [فصلت:٣٣-٣٥].

٣- أن الله تعالى ضمن للدعاة إليه الفلاح والفوز بكريم الثواب وحسن المآب قال تعالى: [f g h i j k l m
n o p q r s t Z [آل عمران:١٠٤].

٤- وكما شهد الله تعالى للدعاة إلى سبيله بأنهم أحسن الناس قولًا في الدنيا، فقد أخبر بأنهم أعظمهم حظًّا في الدنيا والآخرة، قال تعالى: [P Q R S T U W X Y Z [Z [يوسف:١٠٨]، وقال تعالى: [f g h i j k l m n
o p q r s t Z [آل عمران:١٠٤].

وقال سبحانه: [Z [\ ] ^ _ ` a b c d
e f g h i j k l m n o p q r
s t u v w Z [فصلت:٣٤ - ٣٥].

٥- أن الداعي إلى الله مخلصًا على بصيرة موعود باستمرار جَرَيان أجره في حياته وبعد موته.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فمما جاءت به السنة الصحيحة دليلًا على ذلك:

أ- الإخبار بأن ما يحصل للداعية من ثواب الدعوة خير من الدنيا وما فيها، كما قال ﷺ: «**فو الله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم**»(١)، يعني: خير لك من الدنيا وما فيها.

ب- أن الأجر مستمر للداعية ما انتفع أحدٌ بدعوته، قال ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه**»(٢).

ت- أن للداعية مثل ثواب من دعاه من غير أن ينقص من أجر المدعوّ شيء، قال ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»(٣).

*****

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٧٠١)، ومسلم برقم: (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٧٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٨٩٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث:

بيان غايات الدعوة إلى الله تعالى ومقاصدها

للدعوة إلى الله تعالى غايات عظيمة، ومقاصد جليلة، هي من جملة فضائلها، وهي من حكم مشروعيتها، ومن أسباب حسن وعظم الجزاء عليها دنيا وآخرةً، **تتلخص فيما يأتي:**

١- **تعريف الناس بربهم جلّ وعلا:** بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العُلى وأفعاله الحكيمة وأفضاله الجسيمة، وبيان بديع خلقه وإتقان صنعه وحكمة تدبيره، وما له عليهم من سابغ النعماء ومترادف الآلاء، والتنبيه على عظمة شأنه وعز سلطانه وكماله المطلق من كل وجه وبكل اعتبار، وإثبات حكمته في خلقه وقدره وشرعه وجزائه.

٢- **دعوة من جهل حق الله تعالى** أو أنكره أو أعرض عنه أو قَصّر في واجب منه، أو ارتكب منهيًّا عنه من المكلفين لأداء حق الله تعالى عليهم الذي هو أعظم حق، وذلك بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه ـ أي: التوحيد ـ حق الله الذي لا يستحقه أحد سواه:] x y z { | { ~ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ © Z [الحج:٦٢]، وهو سبب السعادة في الدنيا والآخرة.

٣- **أمر الناس أن يستقيموا على ما شَرَع لهم من الهدى ودين الحق:** على الوجه الذي شرع على سنة نبيه محمد ﷺ الذي أمر الله أن يطاع

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ويتبع، فإن شرع الله تعالى هو النظام الذي جعله الله تعالى للمكلَّفين، يبين لهم حقه سبحانه وتعالى عليهم ويوضح لهم علاقات بعضهم ببعضٍ، وعلاقاتهم بما حولهم من المخلوقات والعوالم، فبالالتزام به يتحقق الأمن وتطيب الحياة، وتُتقى المكاره والعقوبات الشرعية والقدرية والكونية، وشرور المخلوقات الأرضية من الإنس والجن وغيرهما من الأمم من أجناس الدواب والطير، وغيرها من عوالم وأخطار ما في هذا الكون من المخلوقات والآيات العلوية والسفلية التي لا يحيط بها إلا خالقه وباريه تبارك وتعالى.

٤- **تحقيق الإيمان بما أخبر الله تعالى به ورسوله ﷺ من الغيوب:** من الملائكة وسائر ما في السماء والأرض، وأحوال البرزخ، وأمر البعث وأهوال الآخرة وأحوال الناس فيها، وأمر الجنة والنار، وغير ذلك مما كان ويكون وما سيكون على الوجه الذي أخبر الله به ورسوله ﷺ، والعمل بما يقتضيه ذلك الإيمان، قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 Z [البقرة:١-٣].

٥- **دعوة الناس إلى توقِّي عذاب البرزخ والجحيم:** وسلوك الصراط المستقيم الموصل إلى جنة النعيم، ورضوان الرب العظيم، كما قال تعالى:] فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , Z [البقرة:٢٤-٢٥].

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٦- **اليقين بأنه لا حاكم ـ على الحقيقة ـ على العباد ولا بينهم إلا الله وحده**؛ فإنه سبحانه هو الحاكم الحق، والحَكَم العَدْل الذي له الحكم وإليه الحكم:

أ- فهو سبحانه هو الحاكم قدرًا وكونًا في ملكه وعباده بما يشاء:] ¶ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ Z [مريم:٣٥]، فإن القدر نظام الملك وسر الله تعالى في الخلق، والدليل على قدرة الله تعالى وعلمه وخبرته وحكمته وقوته وقدرته وعدله وفضله ورحمته، فلا معقب لحكمه، ولا معترض على قضائه، ولا ممسك لرحمته ولا راد لفضله، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون؛ لأنه سبحانه الحكيم العليم الذي يضع الأمور في مواضعها اللائقة بها، المحققة لغايتها، بحيث لا يصلح غيرها بدلًا عنها.

ب- وهو تبارك وتعالى الحاكم بين عباده بشريعته:] وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ Z [المائدة:٥٠]، فإن شرع الله المنزَّل هو نظام المكَّلفين، وصمام الأمان من شؤم الذنوب، وشرِّ ذي الشر من الخلق، وشرِّ ما تجري به المقادير، فهو أمان لمتبعيه من الشر والشقاء في الدنيا والأخرى.

ت- وهو كذلك الحاكم بين عباده يوم معادهم إليه بحكمه الجزائي العدل:] c d e f g h i j k Z [النجم:٣]، فيثيب أهل الهدى بالحسنى، ويجزي أهل الطغيان والهوى بما يشاء، فيغفر لمن يشاء فضلًا، ويعذب من يشاء عدلًا، ولا يظلم ربك أحدًا.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وبهذا يُسلِّم المؤمن لحكم الله القدري ثقةً بحكمته وعدله وفي فضله ورحمته، وينقاد لحكمه الشرعي إيمانًا بعدله ومصلحته، ويقينًا بحسن عاقبته وكريم عائدته، ويؤمن بجزائه يوم لقائه، فيسعى في صالح العمل ويتوقى انتهاك حرمة الله عز وجل، ويتوب إليه سبحانه من التقصير والزلل طمعًا في كرامته ومثوبته، وحذرًا من إهانته وعقوبته.

٧- **حضُّ العباد على التحلّي بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال** لما يعلمون من محبة الله تعالى لها، وما في التحلِّي بها من جليل المصالح، وعظم ثواب أهلها، والسلامة من ضدها من القبائح، والحضُّ على التخلي عن مساوئ الأخلاق ورديء الأعمال، بذكر بغض الله لها وعظم عقوبته لمن شاء من أهلها.

وبذلك التحلِّي والتخلِّي تتآلف القلوب ويتحاب العباد طمعًا في محبة علام الغيوب، وتجتمع الكلمة ويتوحد الصف ويتحقق التعاون على البر والتقوى، والنصح لله ولعباده، ويقطع دابر الظلم والتهاجر والتقاطع والتشاحن وأنواع العدوان، فإن حسن الخُلُق يجتمع فيه خيري الدنيا والآخرة، وسوء الخلق بريد إلى النار.

٨- **إنكار الشرك والبدع وكبائر الذنوب**: فإن الشرك الأكبر هو دعوة غير الله معه، أو عبادة أحد من خلقه من دونه، وهو أعظم ذنب عُصي الله تعالى به، وأعظم موجب لشقاء الدنيا والأخرى، لما فيه من تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه وإعطاء الحق لغير مستحقه، قال تعالى:] A B C D Z [لقمان:١٣]، وقال

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تعالى: [K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [المائدة:٧٢]. وقال تعالى: [r s t u v w x y z { | } ~ Z [النساء:٤٨].

فهذا الشرك أول وأعظم ما نهى الله عنه، وأكبر ما حرم، وأشد ما توعد عليه من الذنوب بألوان العقوبات.

وكذلك الشرك الأصغر الذي هو من وسائله وهو ما كان من تسوية غيره به سبحانه لفظًا، أو التفاتًا بشيء من حقه لأحد من خلقه، أو مراعاته فيه، وضابطه: أنه ما جاء في الكتاب والسنة تسميته شركًا ولم يصل إلى حد الإخراج من الملة.

وهكذا البدع وكبائر الذنوب؛ فإنها سبب إليه أو علامة عليه، وأثر من آثاره.

ولهذا قرن رسل الله تعالى صلى الله عليهم وسلم في نهيهم أممهم جمعهم بين الشرك وكبائر الذنوب من الغلوِّ في المخلوقين ومعصية رب العالمين من بخس الكيل والوزن، وقطع السبيل، والتكبر على الخلق، وإتيان الذكران من العالمين.

فبالدعوة إلى الله تعالى تتحقق هذه الغايات العظيمة التي جماعها وأسسها:

١- معرفة المكلَّفين بربهم تبارك وتعالى على الوجه الذي عرفهم به سبحانه.

٢- معرفة حقه سبحانه وتعالى عليهم، وحضّهم على أدائه على الوجه الذي يحبه ويرضاه، وينالون به أحسن عقباه.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣- تصديق خبره، واليقين بوعده ووعيده، والأخذ بأسباب رضاه وثوابه، والبعد عن موجبات غضبه وعقابه.

٤- حسن تعامل الناس فيما بينهم، ومع ما حولهم من العوالم والمخلوقات على وفق هدى الله تعالى، وبذلك يتقون شر أنفسهم وشرَّ غيرهم عاجلًا وآجلًا، وينالون بركة هذا التعامل، وكريم عوائده في الدنيا والآخرة.

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الباب الثاني

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حكم الدعوة.

المطلب الثاني: الواجب على العلماء وطلبة العلم نحو الدعوة.

المطلب الثالث: الواجب على ذوي السلطان والولاية نحو الدعوة.

المطلب الرابع: الواجب على أهل الغنى واليسار نحو الدعوة.

المطلب الخامس: الواجب على عامة المسلمين نحو الدعوة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول:

حكم الدعوة إلى الله تعالى

١- لقد أمر الله تبارك وتعالى نبيه محمدًا ﷺ بالدعوة إليه في آيات محكمات من كتابه الكريم منها: قوله تعالى:] y x w v z { | ~ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ Z [النحل:١٢٥]، وقوله تعالى:] \ [Z X W V] Z [الحج:٦٧]، وقوله جل ذكره:] V U S R Q W X Z [القصص:٨٧].

والأصل في خطاب الله تعالى لنبيه ﷺ دخول أمته معه فيه إلا ما دل الدليل على اختصاصه به دون الأمة، فإن الأمة لا تدخل معه في تلك الخصوصية، كما قال تعالى في شأن التي وهبت نفسها للنبي ﷺ:] خَالِصَةً لَّكَ مِن µ Z [الأحزاب:٥٠].

والدعوة ليست مما اختص به النبي ﷺ، فكل ما ورد من أمر الله تعالى للنبي ﷺ بالدعوة فإن الأمة شريكة له في ذلك الأمر تبعًا له، فإنها مكلفة تبعًا له ﷺ في القيام بوظيفة الدعوة، فكما أن الدعوة واجبة على النبي ﷺ، فهي واجبة على الأمة بحسب الحال.

٢- ولذا خاطب الله تعالى عامة المؤمنين خطابًا صريحًا بقوله:] f r p o n m l k j i h g t s Z [آل عمران:١٠٤]، والخير هو الإسلام كله، بدليل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حديث حذيفة رضي الله عنه في الصحيح، وفيه: فجاءنا الله بهذا الخير ـ يعني: الإسلام ـ فهل بعد هذا الخير من شر؟...الحديث[١].

فقد أمر الله تعالى الأمة في هذه الآية بالدعوة إلى الإسلام، والأصل في الأوامر الوجوب على من خُوطب به بحسب الحال والقدرة، ومما يؤكد ذلك أن الفعل في الآية جاء مقترنًا بلام الأمر، فدل على تأكيد الأمر، ووجوب القيام بوظيفة الدعوة إلى الله بحسب الأهلية والقدرة، فلابد من قيام طائفة من المؤمنين بمهمة الدعوة إلى الله تعالى، بحيث يحصل بقيامهم المقصود، وإلا أَثِم الجميع على التقصير في الواجب.

٣- كذلك فإن الدعوة إلى الله تعالى تلتقي مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدرجة الثانية، وهي درجة التغيير باللسان إذا لم يستطع باليد، كما في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطِع فبلسانه**»[٢]، وهو الجهاد باللسان الذي عناه النبي ﷺ بقوله في حديث الخلوف: «**ثم إنها تخلف خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن...الخ**»[٣].

فإن التغيير باللسان دعوة إلى فعل الواجب الذي ظهر تركه، وترك المُحرَّم الذي ظهر فعله، بذكر دليل وجوب الفعل أو وجوب

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٦٠٦)، ومسلم برقم: (١٨٤٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٤٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٥٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الترك، ووعظٍ بالترغيب والترهيب، ومجادلةٍ بكشف الشبهات، وإقامة الحق بالحجج الواضحات، والبراهين الساطعات، وإذا كان تغيير المنكر باللسان واجبًا على من لم يستطع التغيير بيده واستطاع بلسانه، فذلك من أدلة وجوب الدعوة على المعيَّن بحسب أهليّته وقدرته.

فهذه الأدلة ونحوها مما جاء في معناها من نصوص الكتاب والسنة مما لا يتسع المقام لذكره فيها أبلغ الدلالة على فرض الدعوة إلى الله تعالى فرضًا كفائيًا ـ أي: على عامة الأمة ـ، إن قام به من يكفي ويتحقق بهم المقصود سقط الإثم عن الأمة، وإلا أَثِم الجميع.

فلابد أن تتصدى للدعوة إلى الله تعالى طائفة من الأمة يحصل بها المقصود؛ بحيث تكون في حق الباقين سنةً عظيمة وقربة جليلة، ويكون القائم بها من المسارعين في الخيرات السابقين إلى المغفرة والجنات:] R Q P O N S U V W X Z [الجمعة:٤].

فإن قول الله تعالى:] Z k j i h g f [آل عمران:١٠٤]، وقوله:] 6 5 4 3 2 1 0 / . 7 8 9 Z [آل عمران:١١٠]، مع ما في سياقها من التعريض بكفرة أهل الكتاب الذين لم يقوموا بذلك، وبذكر عقوبة الله البليغة لهم بسبب تركهم النهي عن المنكر، كما في قوله تعالى:] > = < ; : 9 K J I H G F D C B A @ ? L M N O P Q Z [المائدة:٧٨]، أي: تركوا البيان والوعظ والزجر وقت الحاجة، أي: تركوا الدعوة إلى ترك المنكر.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ففيما اشتملت عليه الآية من ذكر عقوبة السابقين التاركين للأمر والنهي، وفي ضمنه تحذير للاحقين من التقصير في هذا الواجب، أبلغ الدلالة على وجوب الدعوة إلى الله تعالى على الأمة عامة، وأنه يجب على المسلمين عامة أن يقوموا بإعداد وتأهيل وتكليف طائفة منهم تقوم بواجب الدعوة والأمر والنهي، تحصل بهم الكفاية، وأن يعينوهم بكل ما يلزم ـ حسب الإمكان ـ لتحقيق هذا الواجب العام عليهم، وهو الدعوة إلى الله تعالى، وهداية عباده إليه، وإعلاء كلمته وإظهار دينه، وإقامة حجته، ومحاربة الشرك والبدع والأهواء وكبائر الذنوب، والأخذ على أيدي أهل هذه الذنوب وأطرهم على الحق أطرًا، وقصرهم عليه قصرًا، وإلا أثم الناس جميعًا، فلا سلامة من الإثم، ولا أمن من عقوبته إلا بقيام طائفة من الأمة بهذا الواجب العظيم، بحيث تتحقق بقيامهم به غايات الدعوة ومقاصدها.

ولا شك أن هذه الأمور غير حاصلة بوجه كافٍ في هذا الزمن، فإن الجهد المبذول في الدعوة غير كافٍ، والإمكانات الحاصلة غير مُستغَلة، وعظيم المسؤولية على قدر عظم الحاجة والإمكان، فالواجب عظيم، والتفريط كبير، والإمكانات كثيرة، والوسائل ميسرة، والميدان واسع، ونسأل الله تعالى الإعانة على الخير، والعفو عن التقصير، وفي المطالب التالية إشارة إلى مهمات من ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني:

الواجب على العلماء وطلبة العلم نحو الدعوة

أهل العلم هم أئمة الناس وقدوتهم لما أتاهم الله من العلم، ولما أخذ عليهم من ميثاق البيان وترك الكتمان فهم المقدمون وأول المكلفين وأعظمهم واجبًا ومثوبةً وتبعةً، والناس لهم تبع، فيجب على أهل العلم ـ بما بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ من الهدى ودين الحق ـ من الدعوة فيما يتعلق بالعلم، وكيفية العمل، وكشف الشبهات، ورد الضلالات، وبيان أحكام النوازل والحوادث الجديدة، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم؛ ما لا يجب على غيرهم.

فإن الله تعالى قد أمر عامة المسلمين وخاصتهم بالرجوع إليهم فيما لا يعلمونه من أمر دينهم بقوله:] * + , - . / 0 Z [النحل:٤٣]، وأخذ على أهل العلم الميثاق بالبيان وترك الكتمان بقوله:] ! " # $ % & ' ( ) * + Z [آل عمران:١٨٧]، وتوعدهم على الكتمان أو التقصير في البيان مع القدرة إن لم يتوبوا بقوله:] p q r s t u v w x y z { | } ~ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ © وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ Z [البقرة:١٥٩-١٦٠].

وذلك لأن أهل العلم بالهدى ودين الحق اللذيْن جاء بهما النبي ﷺ هم خلفاء النبي ﷺ في أمته وفي دعوته وحفظ سنته وبيان شريعته لعباده، فإن العلماء ورثة الأنبياء، وقد ثبت في الصحيح من غير وجهٍ أن النبي ﷺ لما بين

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

للناس ـ في خطبته يوم عرفة جُملًا من العلم ـ أرسى فيها قواعد الملة وجلَّى أحكام الشريعة، ووضع ـ أي: أبطل ـ أمور الجاهلية، قال: «**ألا هل بلغت؟**»، فقالوا: نعم. فقال: «**اللهم اشهد**»، وأشار بأصبعه السبابة إلى السماء، ثم نكتها عليهم، ثم قال: «**ألا فليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ**»(١). وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله عز وجل بلجام من نار يوم القيامة**»(٢).

وكل من آتاه الله تعالى حظًّا من العلم وفهمًا صحيحًا للدليل على وجهه يدرك به المراد فهو عالم بذلك، فيجب عليه تبليغه لمن لا يعلمه، ودعوته للعمل به، ولا سيما عند سؤاله أو الحاجة الشديدة إلى ما عنده، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**بلغوا عني ولو آية**» الحديث(٣)، وصح عنه ﷺ أنه قال: «**نضَّر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه**»(٤). ومن المقرر عند أهل العلم بالأصول: أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، وأنه يجوز تأخير البيان لوقت الحاجة.

فيجب على ورثة النبي ﷺ في رسالته وخلفائه في أمته من تعليم الجاهل، وإجابة السائل، وتذكير الغافل، ودلالة المجتهد في الخير على أفضل أنواعه وأوقاته، والشهادة للمحسن بإحسانه، وإنكار المنكر، ورد البدعة، وكشف الشبهة، وتفنيد الضلالة والبشارة والنذارة، والنصح للأئمة والأمة عند

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٧٤١)؛ ومسلم برقم: (١٦٧٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم: (٨٣٢٨)؛ وأبو داود برقم: (٣٦٥٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦١).

(٤) أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٥٦)؛ وأبو داود برقم: (٣٦٦٠)؛ وأحمد في المسند برقم: (٢١٠٨٠).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المناسبة والحاجة، بحسب ما أُوتوا من العلم والقدرة، فإنه بنشر العلم للناس تحيا السنن، وتموت البدع، ويظهر المعروف، وتبين شناعة المنكر، وتقوم الحجة على الحق، وبهذا يُحفظ الدين ويُنشر ويظهر، ويُدفع الباطل ويزهق، وتقوم حجة الله على العالمين، ويهدي الله من يشاء من الثقلين.

فيجب على أهل العلم والإيمان وخلفاء الرسول ﷺ في أمته في البيان من الرجال والنساء من الجن والإنس أن يدعوا إلى الإسلام، وأن يُفقِّهوا إخوانهم في الدين، وأن يفشوا العلم، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يتناهوا عن الإثم والعدوان، وأن يقولوا بالحق أينما كانوا ما استطاعوا، وأن لا تأخذهم في الله لومة لائم، فلا يُحابوا أميرًا، ولا يهابوا كبيرًا، ولا يراعوا غنيًّا، ولا يحتقروا مأمورًا، ولا يغفلوا صغيرًا، ولا يغمطوا فقيرًا، ولا يهملوا محبوسًا أو أسيرًا، فالكل عباد الله، يجب أن ينصحوا ويهدوا إليه ليؤدوا حقه، فيتَّقوا العذاب، ويفوزوا بالثواب، فما أسعد من تسبب في عتق الرقاب من النار ودخولها جنات تجري من تحتها الأنهار، فلعل من ثوابه أن يكون من أول المعتقين وأسعد الفائزين بالقرب من رب العالمين؛ لأنه طالما دعا إليه وهدى إليه وجاهد فيه، والله تعالى يحب المحسنين ولا يضيع لديه أجر المصلحين المحسنين، اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين، ويا أرحم الراحمين!

ولقد قام الصحابة رضوان الله عليهم في عهد النبي ﷺ وبعد وفاته في الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ سنة نبيه ﷺ خير قيام، ولمّا اتسعت الفتوح واشتدت الحاجة إلى العلم تفرق الصحابة رضوان الله عنهم في الأمصار، يعلِّمون العلم، وينشرون السنن، ويفقِّهون الداخلين في الإسلام، وهكذا التابعون وأتباعهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم وأتباعهم بإحسان، قاموا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ببيان دين الله تعالى لعباده ودعوتهم إليه إلى يومنا هذا، وبذلك وصل إلينا العلم ونقل العمل، فرحمة الله عليهم وجزاهم عنا خير الجزاء، ونسأل الله تعالى أن نكون حلقة في سلسلة سند العلم من لدن النبي ﷺ فمن بعده إلى من بعدنا حتى يأتي الله بأمره، لنكون من المبلِّغين عن الله دينه، الهادين عباده إليه، اللهم اجعلنا منهم؛ بل من أئمتهم بوجهك الكريم، يا رب العالمين ويا أرحم الراحمين.

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث:

الواجب على ذوي السلطان وأهل الولاية نحو الدعوة

ولاة الأمور: هم من ولّاهم الله على رقاب وأمور عباده، فآتاهم من السلطان والقدرة ما إذا أمروا به الناس أطاعوا، وإذا نهوهم عن شيء انكفوا وانصاعوا، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، فكل له من المثوبة وعليه من التبعة بحسب ولايته ومسئوليته، وقد ابتلى الله ذوي السلطان والولاية بولاية أمر الرعية، فاستخلفهم بعد الذين من قبلهم لينظر كيف يعملون، وسيتركون ولايتهم كما تركها من قبلهم، ومن لم يتركها في الحياة فسيتركها بالموت، فلو لم يتركها من قبلهم لما وصلت إليهم، وكما وصلت إليهم فستتركهم وتنتقل إلى من بعدهم، وهكذا سنة الله تعالى في الخلق.

والولاية في الدولة الإسلامية تُراد لغرضين:

الأول: إقامة الدين الحق وصيانته ونشره في الأرض وهداية عباد الله إليه.

الثاني: حفظ حقوق المسلمين وصيانة حرماتهم، منهم ومن غيرهم.

ومن وسائل ذلك عنايتهم بنشر العلم، وإظهار الشعائر وإقامة الحدود، وتأمين الطرق، وكف الناس بعضهم عن بعض، والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، والقيام بالدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله تعالى؛ دفعًا أو طلبًا.

فالولاية العامة والخاصة أمرها كبير، وشأنها خطير، فهي أمانة في الدنيا وخزي في الآخرة وندامة، إلا لمن أخذها بحقها وأدى ما عليه، ونصح فيها، فيجب على المستخلفين في الأرض بعد من سبقهم من أصحاب الولايات

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

العامة والخاصة أن يتذكروا أنهم إنما مُكِّنوا في أرض الله وعباده بما تولوه من وظائف ومسؤوليات كبرى أو صغرى ليبلوهم الله فينظر كيف يعملون، فليُدْركوا عِظَم المسؤولية وخطر التبعة، قال تعالى: [W V U T S R Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " !] [الحج:٤١].

وليتذكروا فقرهم إلى ربهم يوم يقفون بين يديه، وقد ذهب السلطان، وفات ما كان بالإمكان، ولم يبقَ إلا الربح أو الخسران، فليغتنموا فرصة الولاية وليستعملوا ما آتاهم الله من القدرة والسلطان في الإعانة على نشر الدعوة إلى الله تعالى على منهاج السلف الصالح، وليأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر على ما توجبه الشريعة، فإن القيام بذلك مما يتحقق به إقامة الدين وحفظ حرمات المسلمين، وكل ذي ولاية سيفارق ولايته أو تفارقه يومًا ما إما غانمًا أو غارمًا.

فعلى الولاة أن يتقوا الله في ولايتهم وليقوموا بواجبهم نحو الدعوة إلى الله تعالى، ومن ذلك حسن اختيار الدعاة، وبعثهم إلى جميع ولاياتهم، وليعينوا الدعاة بكل ما هو من أسباب نجاحهم في مهمتهم، وتحقيق المقصود من وظيفتهم، وليسعوا في الإصلاح في الأرض بتحكيم شرع الله تعالى في عباده، ومحاربة المفسدين من أهل كبائر الذنوب ودعاة الأهواء والبدع، المخالفين لمنهاج السلف الصالح، والمنحرفين عن الملة من المنافقين، وأشباههم من الأحزاب الموالية للكفرة؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وذلك بالاجتهاد في القضاء على الشر كله بجميع أشكاله وكافة صوره ومظاهره وإذلال أهله، **وذلك كله بأمرين:**

الأول: النصح لله تعالى ولكتابه وسنة نبيه ﷺ ولعامة المسلمين في إجراءاتهم وقراراتهم، وتوسيد الوظائف إلى أهلها الأكفاء الأمناء النصحاء

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بحسب الحال، واختيار البطانة الصالحة والجلساء الناصحين، والحذر من بطانة السوء، المبغضين لدين الله تعالى، ولسنة النبي ﷺ، وعباده الصالحين، وقيم الإسلام، فإن أولئك المعجبين بأساطين الكفر وأوضاع الكافرين المخالفة لشرع رب العالمين يضرون أكثر مما ينفعون.

وليغتنم ولاة الأمور ما أعطاهم الله من عز الولاية وهيبة السلطان في هداية عباد الله إليه، والأخذ على أيدي كل سفيه بمنعه عما يهدف إليه، فإن الله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وليكن لهم أسوة حسنة في النبي ﷺ ومن سبقه من أنبياء الله ورسله، كيوسف وسليمان وغيرهما من ذوي السلطان الذين سخروا سلطانهم وكل ما آتاهم الله في الدعوة إليه والإحسان إلى عباده عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

وهكذا خلفاء النبي ﷺ الراشدون وصالح أمراء المسلمين وأئمة الدعوة من الأمراء والعلماء الذين كان لهم قدم صدق عند ربهم انتفعوا من ولايتهم وسلطانهم في نشر الدعوة وإعانة دعاة الحق بولايتهم وسلطانهم في هذا الشأن، وجعل الله لهم لسان صدق في الآخرين.

الثاني: الاجتهاد في إعانة الدعاة والجهات المتصدِّية للدعوة ـ على منهاج صحيح ـ بسلطانهم ورأيهم ومالهم ودعائهم، فإن الدعوة إلى الله تعالى من أعظم الأعمال الصالحة نفعًا، وأكثرها ربحًا، وأعمّها بركةً، وأبقى زمنًا مديدًا وأثرًا صالحًا بعد موت الداعي، والمعين على الدعوة، فإن نشر العلم والدعوة مما يتعدى نفعه ويطول بقاء أثره، فتعظم المثوبة عليه وترتفع الدرجة به، ويدفع الله البلاء والعذاب عن الأمة ـ دهورًا مديدة ـ بسببه.

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الرابع:

الواجب على أهل الغنى واليسار نحو الدعوة

قال تعالى:] Z h g f e d [[الحديد:٧]، وقال سبحانه:] Z s r q p [[البقرة:١٩٥]، وقال سبحانه:] وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ Z [سبأ:٣٩].

ففي هذه الآيات المحكمات الحض على الإنفاق من مال الله تعالى الذي أتاه اللهُ العباد ـ وابتلاهم به ـ في مراضيه، وإنفاق المال في الدعوة إلى الله وإعانة الدعاة إليه من أعظم أسباب رضاه سبحانه ومزيد هداه.

فليغتنم الأغنياء إنفاق فضل أموالهم في هذا الميدان؛ فإنه من أعظم وجوه البر والإحسان ومظان رضى الرحمن، فالمال في الأصل لله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده ليبتليه أيشكر أم يكفر، ويدل على ذلك قصة الأقرع والأبرص والأعمى، وفيها: «**قال الملَكَ للأعمى: أمسك مالك، فإنما ابتُليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك**»(١).

وقد ذكر الله تعالى في معرض التقرير نصيحة قوم قارون له قائلين:] وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ Z [القصص:٧٧]، ولكنه لم يقبل نصحهم فبخل بماله عن الحق، وبذله في الرياء والفخر والخيلاء والبغي بغير الحق، وأصر على الكبر الجامع بين رد الحق وغمط الخلق.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦٤)؛ ومسلم برقم: (٢٩٦٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وهكذا من أمسك عن الإنفاق في المشروع ابتلى في الإنفاق في الممنوع، فكان إنفاقه وبالًا عليه وعذابًا له في الآخرة، قال تعالى:] G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ [الأنفال:٣٦]، فبينما قارون يمشي متبخترًا في مشيته قد أعجبته هيئته، إذ خسف الله به الأرض وبداره التي فيها أمواله، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة:] g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ [القصص:٨١]، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله أقوامًا اختصهم بالنعم لمنافع العباد، يقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم**»(١).

فينبغي لمن آتاه الله فضلًا من رزقه أن يبذل منه في نصرة دين الله تعالى ونشره، وإعانة القائمين بالدعوة إليه، وما نقصت صدقة من مال، وليتذكر الغني إنفاق النبي ﷺ على الإسلام، فكان ﷺ لا يسأل على الإسلام شيئًا من المال إلا أعطاه، وكان يُعطي عطاءَ من لا يخشى الفقر، ويقول: «**أنفق بلالًا، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالًا**»(٢).

---

(١) أورده المنذري في الترغيب برقم: (٣٨٧٢)، والهيثمي في المجمع: (١٩٢/٨). وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٢١٦٤).

(٢) أورده المنذري في الترغيب برقم: (١٣٦٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه. وقال: رواه البزار بإسناد حسن، والطبراني في الكبير. وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم: (٩١٢).

وأورده أيضًا برقم: (١٣٦٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن. وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم: (٩١٢)، وفي صحيح الجامع برقم: (١٥١٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وهكذا أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، إنما فُضِّلت على بقية أمهات المؤمنين ـ وكلُّهن فضليات ـ بنصرها للنبي ﷺ وإنفاقها عليه وعلى الإسلام في وقت الغربة والشدة والمحنة، فأنفقت وقت الحاجة، ولذا بُشِّرت وهي تمشي على الأرض ببيت في الجنة من قصب ـ لؤلؤ مجوف ـ لا صخب فيه ولا وصب(١)، وأقرأها جبرائيل ـ عليه السلام ـ السلام من الله تعالى.

وهكذا الصدِّيق الذي أثنى الله عليه بكلام يتلى إلى يوم القيامة بقوله سبحانه:] * ـ أي: النار ـ + , - . / 0 ـ أي: بإنفاقه على رسول الله ﷺ وفي الدعوة إلى الله ـ 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @Z [الليل: ١٧ - ٢١].

وهكذا عثمان رضي الله عنه الذي أنفق في سبيل الله تعالى حتى قال له النبي ﷺ: «**ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم**»(٢)، وبشَّره النبي ﷺ بالجنة في حياته، وهكذا عبد الرحمن بن عوف وسعد بن عبادة وأمثالهم من الصحابة كثير رضي الله عن الجميع، وقد أثنى عليهم ربهم بقوله:] وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ Z [الحشر: ٩].

فليغتنم الغني كون ماله بين يديه يتصرف فيه برغبته وبمحض إرادته، ولينفق في وجوه الخير ما تيسر له، وليتحرَّ ثقاة الناس وأمناءهم ممن يتخذ الدعوة والإنفاق عليها عبادةً له تعالى لا حيلةً على أكل الحرام وخديعةً لأهل

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٧٩٢)؛ ومسلم برقم: (٢٤٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٣٧٠١)؛ وأحمد في المسند برقم: (٢٠١٠٧).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الإسلام بتأويل أو غير تأويل؛ فإن الدعاة وأعوانهم قليلون والمتأولون المبطلون في الدعوة كثيرون.

وإن الإنفاق في الدعوة وإعانة الدعاة عبادة عظيمة وقربة جليلة، فليتحرَّ الغني أهل نفقته كما يتحرى أهل زكاته ما دام ذا غنى وله رأي واختيار؛ فإنه قد جاء في الصحيح أن النبي ﷺ سُئل: أي الصدقة أفضل؟ فقال: «**أن تصدق وأنت صحيح حريص، تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان**»(١).

فلينفق الأغنياء مما آتاهم الله من فضله وجعلهم مستخلفين فيه ـ ما دام المال لهم وفي أيديهم ـ في وجوه الخير، **مثل**:

١- إعانة الدعاة إلى الله تعالى على منهاج السلف الصالح.

٢- طباعة الكتب المشتملة على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة وأحكام الشريعة والأخلاق والآداب الإسلامية بأدلتها، والردود على خصوم الإسلام وأهل الأهواء والبدعة من المنتسبين إليه.

٣- بناء المساجد التي تكون مراكز للدعوة الصحيحة.

٤- بناء المدارس التي تُنشِّئ أبناء المسلمين على عقيدة السلف الصالح.

٥- دعم الجهات الدعوية التي اشتهرت بالتزام السنة، وبيانها ونشرها ونصرتها، وحرب البدع والخرافات وأهلها.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٧٤٨)؛ ومسلم برقم: (١٠٣٢).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٦- دعم الجهات التي تُعنى بالمرافق العامة لصالح المسلمين كالمستشفيات ومراكز تعليم المهن والصنائع التي تنفع المسلمين وتغنيهم، فلا يحتاجوا إلى مراكز المنصِّرين وغيرهم من أعداء الدين.

٧- الإعانة على الجهاد في سبيل الله، الذي توفرت فيه الأمور المعتبرة عند أهل السنة والجماعة، ومنها وجود الولاية العامة وتحقيق المصلحة في الجهاد أو رجحانها، وتوفر قوة الرمي ونحو ذلك مما هو مقرر في كلام ومصنفات فقهاء الملة وأئمة الأمة.

ولقد أقر النبي ﷺ فقراء المهاجرين رضي الله عنهم حين قالوا عن الأغنياء المتصدقين: ذهب أهل الدثور بالأجور والدرجات العلى والنعيم المقيم ـ وذكروا أنهم يزيدون عليهم في الصدقة من فضول أموالهم على ما يشاركونهم به من صالح أعمالهم ـ فقال: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**»(١)، وقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين؛**...وفيه: **رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق**»(٢)، فإن الله تعالى جعل الأموال قيامًا للناس، كما قال تعالى:] وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى ۝ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا Z [النساء:٥]، ومن أعظم القيام قيام الدين.

*****

(١) أخرجه البخاري برقم: (٨٤٣)؛ ومسلم برقم: (٥٩٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٤٠٩)؛ ومسلم برقم: (٨١٦).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المطلب الخامس:

ما يجب على عامة المسلمين نحو الدعوة

يجب على كل ذي رأي سديد، ومهنة نافعة، وصنعة مثمرة، ومكانة في المجتمع؛ أن يفيد الدعوة إلى الله تعالى مما آتاه الله إذا تسير له ذلك، أو دعت الحاجة إلى شيء مما هو مختص به، وتحت إمكانه، إعانةً للدعوة والدعاة، يتقرب بذلك إلى الله تعالى ويدخره ليوم يلقاه، وفضل الله تعالى واسع، وفي التنزيل: Z \ [Z Y X W [[الزلزلة: ٧].

وفي الإعانة على الجهاد يقول ﷺ: «**إن الله يُدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله**»(١)، يعني: الذي يضع السهم في القوس عند الرمي.

ومن أمثلة مشاركة ذوي المهن: الغلام النجار الذي صنع منبر النبي ﷺ من طرفاء الغابة؛ فإن الإعانة على الخير من الصدقات، كما في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**تعين صانعًا أو تصنع لأخرق**»(٢).

ولقد أعان سلمان الفارسي رضي الله عنه النبي ﷺ والمسلمين على الجهاد يوم الخندق بإشارته بحفر الخندق، وموقف الصحابة والتابعين رحم الله الجميع بالمشاركة في الرأي في الجهاد، وغيره كثيرة ومشهورة في دواوين السيرة المعتبرة.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (١٦٣٧)؛ والنسائي برقم: (٣١٤٦)؛ وأبو داود برقم: (٢٥١٣)؛ وابن ماجه برقم: (٢٨١١)؛ وأحمد في المسند برقم: (١٦٨٧٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٤).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وهكذا الدعوة، يأجر الله تعالى كل من شارك فيها على مشاركته قدر استطاعته، العالم بتعليمه وتأليفه، والداعية بدعوته وتبليغه، والمسئول في الدولة بتسهيله وإعانته، والغني بإعانته بماله، ومن له وسيلة أو خبرة بوسيلته وخبرته، ومن ليس لديه شيء من هذه الأمور بمحبته للدعوة وأهلها، وصيانته لأعراضهم، و الدفاع عنهم ودعائه لهم بالتوفيق والتسديد.

*****

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com